

ما بين الإبداع والإنتاج

الكاتب



عبد اللطيف الزبيدي

هل من جديد أو متجدد في الإنشاد الديني؟ هذا السؤال أعاده القلم وكرّره، وكرّر تكريره وتكراره، كل عام مع إطلالة الشهر، ولكن لا تجديد لما تُنشد وما تُنشد. هنا لا مفرّ من المقارنة، فبالمثال تفتضح الحال. في العالم العربي نستطيع الحديث عن التفوّق في الروحانيات على الغرب. تأمل هذه المسألة التي تحتاج إلى دراسة جدية؛ لما لها من انعكاسات تربوية واجتماعية وثقافية بعيدة المدى: إلى يومنا هذا، لا تزال في العالم الإسلامي فئات لها مواقف شديدة الصرامة والسلبية إزاء الموسيقى، بينما في الغرب جنس موسيقي له أشكال عدّة، يسمّى: «الموسيقى المقدّسة». من بين مجموعاته، أعمال منتقاة في ثلاثين أسطوانة مدمجة، تمتدّ من الإنشاد الغريغوري، الذي استمرّ من القرن الخامس... الميلادي وحتى الثالث عشر، إلى الآثار السيمفونية الدينية، في العصر الحديث: باخ، موتزارت، بيتهوفن، مندلسون

حسناً، لا علينا بكل أنماط الموسيقى الغربية، قممها ومهاويها، ألا يجدر بنا السؤال: إذا كانت الموسيقى هي لغة الروح، فما بالنّا نرى الموسيقى الروحية، أي الإنشاد الديني عندنا، هو أشدّ أشكال الموسيقى العربية استعصاء على التطوير؟ نتمنى عدم الوقوع في فخّ النفس الأمّارة بالسوء، فنسيء الظن بالموسيقين، كالقول إنهم أدركوا أن تطوير الإنشاد الديني «ما يوكل عيش»، فما يُنفق في الكلمات والألحان وأداء الآلات والمجموعة الصوتية، والأزياء والديكور وأجرة الاستوديو والهندسة الصوتية، عائداته حبة لا تشبع مئة عصفور. بينما دقائق من «هز الوسط» تهزّ الشرق الأوسط. ولّى زمن مطامح المتنبي: «وتركك في الدنيا دويّاً...» من أين نأتي ببيرم جديد يبدع نظيراً لرائعة «القلب يعشق كل جميل»، وبرياض سنباطي جديد ليبعد قمة فنية ترفع الغبن عن الموسيقى الدينية العربية؟ هل تذكر «الرضا والنور» في فيلم «رابعة العدوية»؟

ها نحن وصلنا إلى ما أصاب الأوساط الفنية في مقتل الإبداع. هؤلاء المشتغلون بالفن يفتقرون إلى أعظم ثروة في الإبداع الفني، وهي عدم الخلط بين الفن والتجارة، هي تنزيه الإبداع عن الركض وراء الربح السريع. هل يتوهم عاقل أن

بيتهوفن، عندما أَلَفَ السيمفونية التاسعة، كان يفكر ليل نهار في عدد القروش التي سيكسبها؟ هذا ينطبق على منهج سلق البيض الذي أصيبت به المسلسلات

لزوم ما يلزم: النتيجة التفكرية: لعلّ المأزق الكبير هو انحدار الأوساط الفنيّة من علياء العكوف على الإبداع الفني، إلى منحدرات الإنتاج المحسوب على الفن

abuzzabaed@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024